

أمي تناوله إبريق الفخار فيمسكه ولا يقوى على رفعه، فتساعده في رفعه فيرشف بضع قطرات من الماء.

نظرات الجد تتجه أكثر نحو زوجة عمي، مما يوحي أن الخبر الذي لديه يخص عمي أكثر مما يخص أبي، فتزداد لهفة زوجة عمي وتسال بتوسل ماذا حصل يا أبو إبراهيم؟ ما هي الأخبار؟ خير إن شاء الله فتنفجر دموع الجد وقد حاول لملمة نفسه وضبط عواطفه، فانفجرت زوجة العم بالبكاء وقد فهمت ما لم يستطع الجد قوله، وصرخت هل مات محمود؟ فهز الجد رأسه مؤكداً ذلك، فارتفع عويلها وصراخها، وبدأت بشد شعرها، أمة بدأت هي الأخرى بالبكاء ولكنها أربط جأشاً تحاول أن تخفف عن زوجة عمي التي ظلت تردد مات محمود مات محمود.

لم يمت يا أم حسن بل استشهد، أبناء عمي بيكيان، وإخوتي وأخواتي، الكل سيكون وأنا متمر في مكاني ولا أدري ما يحدث، صوت طرقات على الباب، أخي محمود يخرج ليرى من الطارق، فإذا مجموعة من الجارات سمعن الصراخ والعويل فجئن يعرفن الخبر ويشاركن الأسي. امتلأت الغرفة بالواقفات تهت بين الأقدام والزحام، وارتفع العويل والصراخ.

مرت الأيام وما من خبر عن مصير أبي، آخر من رأوه أكدوا أنه على قيد الحياة حين احتل اليهود المدينة، هو ومجموعة من رجال المقاومة الشعبية وأنهم انسحبوا نحو الجنوب هذا كل ما هناك، ولا شيء جديد، كان الجد بعد أيام العزاء بعمي -رحمه الله- قد بدأ رحلته من جديد في البحث عن أخبار مصير أبي وهذا كل ما حصل عليه. ومع مرور الأيام وصل إلى قناعة أنه عليه الانتظار، فقد ينس من الحصول على أي أخبار جديدة وقرر الانتظار، قد تأتي الأخبار وحدها، وكان على الجميع الانتظار حتى مجيء خبر منه، فهو يعرف مكاننا ونحن لا نعرف مكانه، مع مرور الأيام كان على الحياة أن تأخذ مجراها الاعتيادي، وكان على الجميع أن يتكيفوا مع الواقع الجديد بمعطيائه.

فتحت المدارس أبوابها من جديد، وبدأ إخوتي وأخواتي وابن عمي الكبير بالذهاب إلى المدرسة، في الصباح تنهض والدتي وزوجة عمي لتجهيزهم إلى المدارس، فينطلقون معاً، وأبقى أنا وأختي الرضيعة وابن عمي إبراهيم، ومع تقدم ساعات النهار يخرج جدي من البيت ليغيب ويعود أحياناً ويديه قليل من الخضراوات، شيء من الطماطم أو (ضمة) من السبانخ أو قليل من البطاطس أو الباذنجان، لنقوم أمة أو زوجة عمي بطهيها، لتكون جاهزة مع عودة الطلاب من مدارسهم.